AL-TAKAMUL AL-MA'RIFI |JUNE 2021 |VOL. 4 ISSUE 1
ISSN: 2716-6899 |E: ISSN: 2716-6902
www.al-takamulal-marifi.my

دور المنهج الإسلامي في بناء المظاهر الجمالية والسلوكية

THE ROLE OF ISLAMIC APPROACH IN BUILDING AESTHETIC CHARACTERS AND MORALS

Al-Shamiri, Hakim Ebrahim A. J
Universiti Sultan Azlan Shah,
Bukit Chandan, 33000 Kuala Kangsar,
Perak Darul Ridzuan, Malaysia
E-mail : aabobhaa@yahoo.com

الملخص:

اهتم الفلاسفة بالمظاهر الجمالية في الفن المعماري والنحت والتصوير باعتابرهم ميادين الفن والجمال، وأهملوا المظاهر الجمالية السلوكية في الإنسان التي تعد أهم مصادر المظاهر الجمالية في هذا الكون. وقد نشأ في علم الفلسفة فرعاً يسمى علم الجمال، ونشأ كذلك في علم النفس فرعا مستقلا أطلقوا عليه سيكولوجية الجمال يهتم بالدرجة الأولى بدراسة الجمال كدراسة تجريبية وتحديد المبادئ التي يبنى عليها التعبير الجمالي بمختلف وسائله. ونحن نهدف من هذا البحث إلى إبراز هذه السلوكيات المتمثلة في الإنسان فهي تعد الصفة البارزة والمظهر الجميل الخلاب في كيان الإنسان، كما نهدف إلى عرض نموذجا تطبيقية من القيم الإسلامية التي تميز بها، وثقافة المجتمع والتراث الموروث. وسلك الباحث منهج الاستقراء والتحليل والاستنتاج لتحقيق الأهداف البحثية، وتوصل الباحث إلى أهمية المظاهر الجمالية في السلوك البشري لدى هذا المجتمع، ولهذا لابد من وضع أيدينا على هذه المظاهر الجمالية الداخلية في كيان الإنسان التي جعلها الشارع من أبرز القيم في المنهج النبوي في الساحة الدعوية.

الكلمات المفتاحية: المنهج الإسلامي، المظاهر الجمالية، السلوك.

Abstract:

Philosophers took care of the aesthetic aspects of architectural art, sculpture and photography by crossing the fields of art and beauty. However, they neglected the aesthetic manifestations in human behavioral, which are the most important sources of aesthetic manifestations in the universe. In psychology, a branch called "aesthetics" was created. Psychology also developed an independent branch called Beauty. Psychology which is primarily concerned with the study of beauty as an experimental study and defining the principles on which the aesthetic expression is based on its various means. In this paper, we aim to highlight these behaviors represented in the human because it is the prominent feature and beautiful appearance in the human entity. and we also aim to present applied models of the Islamic values that characterize them, the society's

culture and the inherited heritage. The researcher followed the method of induction, analysis and conclusion to achieve the research goals, and the researcher reached the importance of aesthetic aspects in human behavior in this society, and for this we must put our hands on these internal aesthetic manifestations in the human being, which the street made one of the most prominent values in the prophetic approach in the advocacy arena.

Keywords: Islamic curriculum, aesthetic aspects, behavior.

المقدمة

تعتبر فلسفة المظاهرة الجمالية السلوكية في الإنسان من أهم المظاهر التي يصعب ابرازها عبر الدراسات الموضوعية لأنها مرتبطة بالمشاعر والوجدان وليس بالعقل والنقل. فالمظاهر الجماليه للفرد المسلم تعد من القيم الإسلامية الرفيعة التي نصت عليها الشريعة الإسلامية واهتمت بها في جوهرها وتعليماتها، فإبراز هذه المظاهر الجمالية السلوكية للإنسان وما يختزله من قيم رفيعة حسب الدراسات المعلوماتية للبحوث، يعد نجاحاً في الميدان المعرفي وتطور في المنهج السلوكي في الإنسان المسلم. فالسلوك الأنفعالي يأتي نتيجة التخلف الاجتماعي ونتيجة ثقافة البيئة التي يعيش فيها الفرد، وقد وردت قصة في الصحيح أن شخص أعتاد قتل الناس حتى بلغ عدد القتلى 99 نفساً (Muslim, 2004). وعندما أراد الإقلاع عن هذا الفعل القبيح، وهذا السلوك المتردي نُصِح بترك المجتمع الذي كان يعيش فيه، وهذا يحوي أن السلوك الذي تقمصة نتيجة ثقافة المجتمع الذي كان يعيش فيه، فلا يمكن التوبة أو الإقلاع عن هذا العمل الذي أعتاده إلا إذا غادر الأرض التي يعيش عليها وفارق المجتمع الذي اكتسب منه هذا الخلق المزري، فالسلوك عبارة عن تراكم ثقافات الفرد من المنهج الذي تربى عليه، والمجتمع الذي عاش فيه، والبيئة التي تررع فيها. ونحن سوف نقوم بدراسة المظاهر الجمالية السلوكية عند المسلمين من ناحية المنهج الثقافي، ومن خلال التصرفات السلوكية للأفراد والمجتمع، وإعدادها ضمن إطار اجتماعي يشمل سائر المجتمع، ولا يقتصر على شريحة محددة أو منهج معين وهذه النقطة سوف تمكنا من معرفة المظاهر الجمالية السلوكية عند المسلمين، من نواحي عدة أهما التعليمات النبوية والقيم التي غرست في النفوس المسلمسن، والمناهج الذي ارتكزت عليه التوجهات السماوية، والممارسات التي تطبقتها القيادة الحكيمة المتمثلة بشخصية المعصوم صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: أهمية البحث

تظهر أهمية البحث من خلال الأحداث والمشاكل السلوكية العنيفة التي تحتاج إلى دراسة موضوعية تحلها، وتستبدل غيرها بالمظاهر الجمالية السلوكية الحميدة المتمثلة في الإنسان والمتعلقة بالوجدان والشعور، لأنها غامضة ليس من السهل إثباتها كحقيقة للإنسان إلا عن طريق النصوص الشرعية، فالتعرف عليها من جهة التشريع، وتحقيق

ضوابطها وتعرف على زواياها الخفية في جوف الأنسان، أو معرفة أسباب الانحراف السلوكي الذي يشكل خطر كبير على المجتمعات البشرية، ويهدد المؤسسات الأمنية في دول العالم المنحرف في السلك.

المطلب الثاني: أهداف البحث

الإسهام في إبراز المظاهر الجمالية في الإسلام المتمثلة في الإنسان، وإظهار الحقيقة المخفية عن دور الإسلام في التعامل مع جميع المخلوقات بالرفق واللين. عرض نماذج تطبيقية من المظاهر السلوكية في الواقع البشري، أحياء قيمة الجمال السلوكي الإسلامي ونشره في المجتمعات البشرية، ومقارنة، وعرض بعض القيم التي أتسم وعرف بها الإنسان عند الأمم الأخرى.

المطلب الثالث: منهجية البحث

1- نهج الباحث في بحثه منهج الاستقراء للنصوص القرآنية والسنة النبوية والتاريخ والسيرة النبوية والأبحاث العلمية المتعلقة بموضوع المظاهر الجمالية والسلوكية في المنهج الإسلامي، كما قام الباحث على الاطلاع الكامل على منهج الأمم الأخرى وتعرف على سلوك الإنسان وثقافته الجمالية، وحقيقته الأخلاقية في واقعه وتعاملة مع المخلوقات الأخرى.

2- منهج الاستنباط: لقد استنبط الباحث بعض المعايير المعتبرة في السلوك، والجمال الحقيقي في الكون، والمواصفات القيمة التي يتمتع بها المنهج الأسلامي، مقارنة بغيره من المناهج الأخرى.

3- منهج التحليل: قام الباحث بتحليل الأسباب التي ميزت المنهج الإسلامي عن غيره من المناهج الأخلاقية والسلوكية وأظهرت المسلمين بثوب جميل تشع منه الرحمة والرفق واللين، وتكسبه رونقاً يعجب به كل ناظر ويثني عليه كل منصف، ويلتحق به كل عاقل.

المطلب الرابع: الدراسات السابقة

التراث:

قدمت قديماً دراسات قيمة في عالم السلوك والأخلاق، ونشرة بحوث في علم المظاهر الجمالية، كان لعلماء للمسلمين النصيب الأكبر فقد بادر الإمام ابن حزم الظاهري فكتب كتابا طوق الحمامة أثناء مكوثه في مدينة شاطبة، وذلك عام 417هـ، فتطرّق إلى الحديث عن الأمور التي تقود الإنسان، وتُسيِّرُه نحو كلّ شكل من أشكال الجمال في عواطفه النفسيّة، وذلك من خلال ردّ الظواهر إلى مصادرها النفسية. وقدمت الباحثة حنان سعادات عبد المجيد عودة فلسفة ابن حزم الأندلسي في الحب ما بين التقليد والتجديد "فتناولت فيها آراء ابن حزم الفلسفية والكالمية في الحب ونظرته للمرأة، واستقصاء اتجاهات ومناحي فكره؛ وعرضت فيها المفاهيم الأساسية في نظرته في الحب. ولم يفوت على الإمام

لغزالي علم الجمال فقد تعرض له في كتابه المشهور بإحياء علوم الدين، وقدم رسالة ماجستير الطالب بوجيل عبد العزيز القيم الجمالية عند أبو حامد الغزالي دراسة تحليلية.

دراسة معاصر:

كما قدمت دراسة معاصر تحدثت عن الجمال وعلمه وحدوده وشكله، وكان جان برتليمي مساهم ببحث في علم الجمال، كما أن مرتضى المطهري، كتب في فلسفة الاخلاق، كان صالح احمد الشامي مساهمات، فكتب الظاهرة الجمالية في الاسلام، وللأستاذ محمد قطب، منهج الفن الاسلامي، وزكريا ابراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، عماد الدين خليل، مدخل الى نظرية الادب الاسلامي، وعبد الفتاح رواس قلعه جي، جماليات اسلامية.

والذي يضيفه بحثنا ويميزه أنه أفرد للجمال الخلاق والتعامل والرحمة والعطف مساحة كبيرة تستقي من جمال منهاج النبوة، مع عرض بعض الفرات لأخلاق الأمم السابقة وقد الفارق الشاسع بين، معارف المظاهر الجمالية وغيرها.

المبحث الأل

مفهوم المظاهر الجمالية ومنزلتها في الإسلام

المطلب الأول: مفهوم الجمال

رأى بعض العلماء أن الجمال يصعب تعريفه لأن الجمال لا يقوم بنفسه وانما يقوم بغيره حيث نستطيع رؤيته في الانسان وفي الاشياء والافعال والتصرفات (eabdalkarim, n.d.).

وقد أيد فريق من الفلاسفة وعلماء الجمال في العصر الحديث الارتباط الوثيق بين الاخلاق والجمال حتى جعلوا علم الاخلاق فرعاً من فروع علم الجمال كما نجد ذلك لدى هربرت (abu rian, n.d.). ومما يؤيد أن الأخلاق من مقولة الجمال هو" أن الإسلام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والمعروف ما عرفه الناس والمنكر ما أنكره الناس (abu rian, n.d.).

فالصبر مثلاً من اعظم الصفات التي تزدان بها النفس جمالاً وكمالاً ولهذا وصفه القرآن بالجميل... وفي مواضع أخرى من القرآن حديث عن الصفح الجميل والسراح الجميل، وهو صفح لايكون جميلاً حتى يكون خالصاً لوجه الله تعالى، وسراحٌ لايكون جميلاً حتى تذهب معه الاثرة وتبلغ معه المجاهدة من النفس اقصى درجات الانتصار على الذات"وبهذا الشمول يتجاوز المفهوم الإسلامي للجمال، جميع المظاهر المادية المحسوسة إلى تلك الامور الروحية المجردة "نعم هناك فرق بين الجمال الحسي والروحي، فالجمال الحسّي أمر خارج عن الاختيار دون الجمال الروحي فإنه داخل في اختياره، فله ان يقوم بإقامة التوازن والانسجام في الميول النفسانية العلوية والسفلية، حينها تصبح الروح جميلة والسلوك المنعكس منها مثلها (eabdalkarim, n.d.).

المطلب الثاني: أهمية الجمال السلوكي في الإسلام

برز مظاهر الجمال السلوكي كصفة ملازمة لشخص النبي ﷺ، في جميع حياته الدعوية، واتسم بها قولاً وفعلاً ودعا إليها أتباعه ورغب فيها، حتى صارت من القيم الثابته في الإسلام، وخصلة ومنتشرة في أوساط المجتمع الإسلامي، وكان النبي ﷺ النموذج الأمثل للمجتمع الإسلامي المتمثل بهذه الصفات السلوكية الطيبة. ورغب فيها ودعا إليها في أكثر من موقف في حياته الدعوية، وجعل السوك الجمالي هو الصفة التي يجب أن تصاحب الفرد المسلم في جمع مواقفه، وحذر صلى الله عليه وسلم، من الشدة الغلضة والعنف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف» (Ibn hibban.1988) . وعن أبي الدرداء قال: قال: ﷺ «من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ومن منع حظه من الرفق فقد منع حظه من الخير» (Ibn 'abi shaybah, 1997) ومن لوازم الرفق واللين كظم الغيظ والعفو والصفح والحلم والرحمة هذه سلوكيات ومظهر جمالي تفردت به هذه الأمة، وهناك آيات كثيرة تدعو إلى هذا الخلق الكريم وتبين أهميته ومنزلته في الإسلام، قال تعالى:{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران:134] وقال تعال:{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف:199]. وقال تعال: {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: 34] {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: 35]. وقال تعال: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} [الشورى:43] {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر: 85]. {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} [النور:22]. وقال تعال: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر:88] {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران:159] والآيات في ذلك كثيرة معلومة، «وما انتقم رسول الله – ﷺ– لنفسه قط في شيء إلا أن تنتهك حرمات الله – عز وجل – فينتقم لله عز وجل» (Albukhari,1422H). فعندما بعث الله إليه ملك الجبال ليطبق على كفار قريش الأخشبين أبى وقال: بل أرجو أن يخرج الله – عز وجل – من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا» (Alfakihi, 1414). وقد تجسد السلوك الحسن في شخص النبي مع جميع الأصناف من المخلوقات؛ كان على مستوى الإنسان، أو الحيوان أو الطيور. «فعن أنس: كنت أمشي مع رسول الله – ﷺ– وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبي – ﷺ– وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه وضحك ثم أمر له بعطاء» (Albikhari.1422H).

المطلب الثالث: حقيقة المظاهر الجمالية في السلوك

لابد أن نقف على مفهوم الجمال السلوكي، فإنه يبدو لنا أن المظاهر الجمالية ليس من السهل أن نصفها بمواصفات محددة؛ حيث يعتبر الجمال له بعداً عميقاً لا يتذوقه ولا يدركه إلا من له بصيرة جمالية في ذاته، ومن لم يكن الجمال في

نفسه مغروساً لا يلمس من حوله شيئا جميلاً، والذي نفسه بغير جمال...لا يرى في الوجود شيئا جميلا (Almahdi.2009). ولذلك يصعب وضعه تحت تعريف معين.

والجمال نوعان: جمال سلوكي ظاهري وجمال باطني، والجمال الباطن هو الذي يعنينا أي جمال الأخلاق الذي يعد التصرفات من الأقوال والأفعال محله، ويعتبر هذا الجمال كسبي وجبلي وهو المحبوب لذاته المنبعث من كيان الإنسان وإحساسه، مثل جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة ويختص بالسلوكيات والتصرفات مع الآخرين، ولهذا اختلف الناس في النظر في جمال الباطن هل هو حقيقة قائمة موجودة؟ أم هو مجرد شعور نفسي تجاه شيء ما. وعلى هذا لا يوجد شيء جميل أو قبيح لذاته، فما كان في نظرك حسناً ربما كان في نظر غيرك قبيحًا. فأن الأشياء أو الأفعال – حسب رأيهم – ليس فيها قبح ولا حسن لذاتها.

وكلمة الجمال أصلها يونانية، ويُقصد بها العلم المتعلِّق بالإحساس أو علم التعرّف على الأشياء من خلال الحواس، ويعرف باسم (الإستاطيقا) وكذلك باسم فلسفة الفن.

وقد عَرَّف هربرت ريد الجمال بأنه وحدة العلاقات الشكليَّة بين الأشياء التي تدركها حواسنا، ومن التعريفات الجميلة حول الجمال ما قاله هيجل عنه بأنه الجنّي الأنيس الذي نصادفه في كل مكان، وقديماً كان الجمال أحد فروع الفلسفة، إلى أن جاء الفيلسوف بومجارتن، وفرّق بين علم الجمال وباقي المعارف (Eisaa, 2016).

المطلب الرابع: تقويم الفلاسفة للمظاهر الجمالية

بينما الفلاسفة اعتبروا الصفات الجمالية السلوكية منها ما يكون عقلي لا حسي، ومنهم من قال أن الجمال ظاهري وباطني والجمال الباطني أهم.

سقراط: اعتبر سقرات المظاهر الجمالية عقلية لا حسية وقال: أن المعايير الجمالية موضوعية أى (لا تتغير بتغير الأفراد)، ومصدر هذه الموضوعية أن العقل واحد عند كل الناس. وهو يرفض الموقف السفسطائي القائم على أن هذه المعايير ذاتية، تتغير بتغير عقول الأفراد (Sabri, 2011).

أفلاطون: تناول أفلاطون مفاهيم المظاهر الجمالية من خلال نظريته، أنه ليس للعالم المادي المحسوس اى وجود حقيقي بل هو مجرد ظلال لعالم المثل ومضمون كلامه أن المعرفة تتدرج من الإحساس إلى التعقل أو الإدراك العقلي وقسم الجمال إلى درجات من الأدنى إلى الأعلى: (الجمال المحسوس): وهو جمال الأجسام، وهو أدني درجات الجمال، و (الجمال المعقول): وهو جمال النفوس وتعبر عنه الآداب والفنون، و (الجمال المفارق): وهو جمال مثال الشئ بالذات (Sabri, 2011).

السفسطائيون: وأما السفسطائيون فلهم نظرة في الجمال، بأن الحواس واللذة هي مصدر المعايير الجمالية، وأن الجمال الحقيقي هو الجمال الباطني (جمال النفس) لا الجمال الظاهري جمال الجسم والشكل (sabri.2o11m). والحقيقة أن الفلاسفة تحدثوا عن الجمال والفن بجميع أنواعيه وأشكاله وأسهبوا في الحديث فيه وجعلوا له نظريات متعددة ومتنوعة تكتنفها الفلسفة المعقدة، نحن في غنى عن هذه النظريات والحديث الفلسفي والكلام الذي يخضع للجدال والعقل البعيد عن الشرع، بعد أن أغنانا الله تعالى بهذا الدين الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.نستشف من كلام الفلاسفة الذي يكتنفه التعقيد، أنهم يؤمنون بوجود المظاهر الجمالية بجميع أنواعها، ويتفقون معنا على أن الجمال الحقيقي جمال الباطن الذي يدرك من خلال سلوك الأفراد والجماعات، وهو أهم أنواع الجمال، حيث يغلبون الجمال الخلقي أو الباطني أو النفسي على المظاهر الجمالية الظاهرية، التي تتمثل في الأدب والرسم والفن وهو يتوافق مع ما نقصده في هذا البحث، من جمال التعامل والتألف والرفق اللين والرحمة، الذي أوصى به المعصوم ﷺ، وقال من أتي الرفق فقد وأتي خير كثيراً، وهي الصفة التي يحبها الله كثيراً ويعطي عليها من الأجر ما لا يعطي على غيرها. قال رسول ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف» (Ibn Majah, 1953.) . وعن عروة عن أبيه رضي الله عنهما قال: مكتوب في الحكمة: الرفق رأس الحكمة (Wakiea, 1984) وعن أم حبيبة قالت: قال النبي ﷺ: «لم يقسم الرفق لأهل بيت إلا نفعهم، ولم يعزل عنهم إلا ضرهم» (Altamymi, 1406H) .

والحقيقة التي أراها وأؤمن به أن في الوجود جمال حسي وباطني، للعقل السليم دور في إدراكه، فالجمال يدرك بالعقل السليم وبالفطرة السليمة، فإذا كان العقل سليماً والفطرة سليمة كان الوجدان والمشاعر لهما نظرة صائبة في تقويم الأشياء من ناحية التحسين أو التقبيح، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذين النوعين أي (جمال الظاهر والباطن) وأن في هذا الكون حسن وقبيح، وأن النفوس السليمة تميل إلى الجمال وتنفر من القبيح؛ والنصوص متواترة في ذلك، قال ﷺ: «أن الله جميل يحب الجمال» (Muslim, 2004). قال ﷺ: «"إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأحسنوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش"» (Ibn Hibban, 1988).كما سيرد معنا، وأن هناك أفعال جميلة وأفعال قبيحة، وأن التصرف في الأفعال أو الأقوال بالرفق واللين يجعل القول والفعل جميلاً حسناً، وأن الفعل والقول إذا نزع منه الرفق واللين اتسم بالقبح، فقال ﷺ «يا عائشة، عليك بالرفق، فإنه لم يكن في شيء إلا زانه، ولم ينزع من شيء إلا شانه» (Muslim, 2004). أي ما أُدخل الرفق في شيء إلا جعله جميلاً حسناً، وإذا نزع من أي شيء إلا كان قبيحاً مشوهاً. فالله سبحانه وتعالى يحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر كما يحب أن يرى عليه الجمال الباطن بالتقوى ونظافة الظاهر مع نظافة الباطن نور على نور ,Abd Alaziz (1424H).

حسّن ثيابك ما استطعت فإنها زين الرجال بها تعز وتكـرم

ودع التواضع في الثياب تخشناً فالله يعلم ما تسر و تكتـم

فرثاث ثوبك لا يزيـــدك رفعة عند الإله وأنت عبد مجـرم

وجديد ثوبك لا يضرك بعـد أن تخشى الإله وتتقي ما يحرم (Alsufuriu, 1283H .

المطلب الخامس: موقف علماء المسلمين من لمظاهر الجمالية

الصفات الخلقية التي تكمن في سلوك الإنسان من الرفق واللين والصدق والعدل والعفة، والمحبة الرحمة والصبر، والإحسان، صفات فطر الله سبحانه وتعالى عباده على استحسانها، وفطرهم على استقباح أضدادها (Ibn Alqayyim, 1996). ويذهب كثير من فقهاء المذاهب السنية، بأن حسن الأفعال وقبحها ثابت بالعقل، والثواب والعقاب متوقف على ورود الشرع. (Al'asheari.1413) يمكن القول أن الجمال قد يكون فعلا موجوداً، وإنما الاختلاف في إدراك وتحسين هذا الجمال، كذلك في درجة استشعاره، أي قوة تأثيره على الإنسان، حيث تتباين درجة إدراك حقيقة الجمال. وقال أبو حامد الغزالي ":والصورة ظاهرة وباطنة، والحسن والجمال يشملهما، وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فالغزالي يرى أن الجمال مرتبط بالحسن، والحسن لونين ظاهري وباطني، والباطني هو أسمى من الظاهري، لأنه حسن وجمال في العقل والاخلاق والشيم النبيلة (Alghazali, 2013).

المطلب السادس: المظاهر الجمالية عند المسلمين

لنا سجل حافل بالمحاسن والمظاهر الجمالية السلوكية في الإسلام عبر التاريخ وعلى مر السنين، وكانت تبرز في التصرفات الانفعالية في حال التعامل والانفعال، وكان الصبر والرفق واللين والرحمة والإحسان بالغير في سلوك المسلم، تبرز في صورتها الجمالية الحسنة، فالرفق واللين صفة ملازمة لهذا الدين العظيم في جميع الأفعال والأقوال مع جميع الخلوقات كان على مستوى البشر، أو الحيوان، أو الكلاب، أو القطط، أو الطيور. وكان حكام المسلمين وأومرائها النموذج الأمثل والقدوة الحسنة في الرفق واللطف بالناس، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته والإمام راعي ومسؤول عن رعيته» (Albukhari.1422H) وعن أبي يعلى معقلِ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيتةً، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة».(Alrruyany, 1416H). فهذه النصوص تبين أهمية الرفق بالرعية والشعب والطرق التي يجب على ولي الأمر التعامل مع من ولي عليه من المسلمين وغير المسلمين، وقد عبر المعصوم صلى الله عليه وسلم على أن الخير رفيق الرفق، وأن الشر رفيق الغلظة والشدة. فقال صلى الله عليه وسلم: «من يحرم الرفق يحرم الخير».(Muslim, 2004) وقال: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف» (Ibn Majah, 1953).

قال للشيخ أبي الفتح البستي رحمه الله تعالى: ورافق الرِّفْق فِي كل الْأُمُور فَلم... ينْدَم رَفِيق وَلم يذمه إِنْسَان وَلَا يغرنك حَظّ جَرّه خرق...فالخرق هدم ورفق الْمَرْء بُنيان (Alhimdhani.1998).

المبحث الثاني

الرفق واللين أبرز المظاهر الجمالية في الأسلام

المطلب الأول: الرفق واللين خلق إسلامي

لم يكن الرفق واللين والسلوك الحسن معروفاً عند العرب، ولم يرثة النبي ﷺ عن آبائه وأجداده وهو خلق غريب على المجتمع العربي؛ بل كان العرب يتباهون باللغلظة والشدة ويعتبرونها من مقومات الرجولة، حتى أن الرجل يأتي بابنته الوليدة فيهيل عليها التراب وهي حية في حفرة ضيقة أمام أعين الناس ولا يحول بينه وبين فعله الشنيع أحد فعن النعمان بن بشير يقول: سمعت عمر بن الخطاب: عندما سؤل عن هذه الآية {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}، [التكوير:8،9]. قال: جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إني وأدت ثماني بنات لي في الجاهلية، فقال "أعتق عن كل واحدة منهن رقبة" قال: إني صاحب إبل، قال"اهد إن شئت عن كل واحدة منهن بدنة(Hawaa, 1995). وهذا الخلق كان صفة متجذرة في العرب، فبعض القبائل العربية كانت تمارس الوأد أو دفن الأولاد البنات أحياء خوف من العالة أو الفقر، والبعض الآخر ممكن أن تقدم الأطفال قرابين للآلهة كما في القصة المشهورة في نذر عبد المطلب تقديم ولده عبد الله والد النبي– صلى الله عليه وسلم – قربانًا لهبل، أيضًا عادة التقرب بالأولاد للآلهة كانت شائعة عند المناذرة وملوك الحيرة وغيرهم من الأمم القديمة، أو قذفهم في الأنهار من أجل إرضاء الرب ليجود عليهم النهر بفيضانه ليتمكنوا من ري زروعهم (Almuqadim, n.d.). ثم أزال النبي ﷺ هذا المرض الخطير، وغرس في نفوسهم ظاهرة الرفق واللين والرحمة فيجب أن نضع أيدينا عليها بعد أن أصيبت هذه الأمة بالوهن والضعف وعدم الاهتمام بهذه القيمة الجماليه في العصور المتأخرة.؛ فالرفق واللين واليسر هي صناعة إسلامية غريبة على المجتمع العربي، وهي تعد من أبرز المظاهر الجمالية في الإسلام. ولا شك أن الظاهرة الجمالية في الإنسان حقيقة تخبو في كيانه وتتغلغل في فؤاده.

فالقيم الإسلامية قد جمعت بين الأصالة والأبداع الجمال المعنوي التي يختزلها الإنسان، بعيدة عن الشدة واللغلظة والإرهاب كما يحلو للغرب أن يسموا أهل الإسلام بهذه الصفات المذمومة، وهم أحق بالإرهاب من غيرهم وما يقومون به من جرائم شنيعة بحق المسلمين كافياً أن يكون دليلاً على اتسامهم بالإرهاب.

المطلب الثاني: التسامح في الإسلام

ومن مظاهر الجمال السلوكي هو التسامح الديني مع الدينات الأخرى، وقد أجمع المؤرخون الغربيون ممن يحترمون الحق على هذا التسامح وأشادوا به. يقول المستر (درابر) الأمريكي المشهور: إن المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام، بل فوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام ورقوهم إلى مناصب الدولة، حتى أن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا بن ماسويه، ولم يكن ينظر إلى البلد الذي عاش فيه العالم، ولا إلى الدين الذي ولد فيه، بل لم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة (Alsibaei, 1999).ويقول المؤرخ الشهير المعاصر (ولز) في صدر بحثه عن تعاليم الإسلام: (إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة، ممكنة التنفيذ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي عما في أية جماعة أخرى سبقتها إلى أن يقول عن الإسلام: إنه مليء بروح الرفق والسماحة والأخوة (Alsibaei, 1999). وقال غوستاف لوبون: (إن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا ديناً سمحاً مثل دينهم (Alsibaei, 1999). وكان في العهد الأموي للنصارى احتفالاتهم العامة في الشوارع تتقدمها الصُلبان ورجال الدين بألبستهم الكهنوتية ولم يعترض عليهم أحد من المسلمين أو يعتدى عليهم (Alsabaei,1999). ويقول رينو في تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط: إن المسلمين في مدن الأندلس كانوا يعاملون النصارى بالحسنى، كما أن النصارى كانوا يراعون شعور المسلمين فيختنون أولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير(Alsibaei, 1999).

المطلب الثالث: الجمال السلوكي مع الإنسان

كما تبين معنا أن الإسلام يمنح الإنسان أولوية في المعاملة، وترفع عن المساس بكرامته وإنسانيته، ونحن نعرض نماذج من ذلك التعامل الحسن مع جميع الشرائع البشرية.

لفقرة الأول: التعامل مع الشباب، شاب يستأذن النبيﷺ في الزنا فكان الرفق والتصرف الحكيم من رسول الله ﷺ أصلح أخلاق هذا الشاب المسلم وأصبح فرداً يتمتع بأحسن القيم وأفضل الصفات. ومحا ما في قلبه من حب الفاحشة والرذيلة، واستبدلها بالعفاف والطهر. لاشك أنه الدواء الناجح في التعامل مع الأخطاء والتصرفات غير المسؤولة هو الرفق واللين والتسامح مع الناس والتماس العذر لهم فقد قال ﷺ: «يا عائشة فإن الرفق، لم يكن في شيء قط إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه» (Ibn Majah, 1953). فهذا نص واضح في أن الرفق رمزاً للجمال وعنوانا للحسن والبهاء، وهذه الصفة الجمالية من صفة التشريع الإسلامي الذي تميز بها عن غيره من التشريعات الأخرى.

الفقرة الثاني: التعامل مع الجاهل، الجاهل يطلق على الشخص الذي لا يعرف حقيقة الأشياء ولا يدرك ضرها أوفائدتها، وعاصر النبي ﷺ، هذا الصنف حيث أدخل عليهم أمور لا يعرفونها ولم يتعودون عليها؛ ألا وهي التعاليم الإسلامية التي تشمل جميع أمور الحياة، فالزنا كان موجوداً في الجاهلية وهناك بيوت يمارس فيه الزنا، (بما يشبه اليوم

بالزنا الجماعي في الغرب) ولا حرج في ذلك، والمرأة يدخل عليها عدد من الأشخاص فيجامعونها جميعاً، فإذا ولدت اختارت لمولودها أباً من القوم الذين دخلوا عليها فيصبح أباً للمولود. وقد يذهب الزوج إلى أحد جيرانه إذا كان تتوفر فيه صفات الرجولة التي يتفخرون بها فيدعوه إلى زوجته فيجامعها بعلم زوجها لعلها تلد له ولداً شجاعاً جوادا كريماً.

فثقافة الجاهلية متنوعة فمنهم من يعيب الزنا، ومنهم من يحترفه ويمتهنه وبدون حرج. عرض على النبي شخص شاب أن يأذن له في الزنا، وهنا تتجلى هذه الخصلة الكريمة في شخص النبي ﷺ، ألا وهي الرفق مع هذا الشاب الجاهل. ودورها في معالجة الأخطاء غير المقصودة من المكلفين، والناج التي يترتب على هذا الأسلوب النافع مع كل جاهل. وقد ورد حوار بين الشاب والرسول وثقه أهل الحديث وصححه، ونحن ننقلها كما اورد الإمام مسلم من غير نقص أو تعليق وعليك أن تسمع إلى هذا الحوار الرائع بين المعصوم والشاب، قال الشاب: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، وكان النبي ﷺ جالس مع القوم فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: " ادنه، فدنا منه قريبا ". قال: فجلس قال: " أتحبه لأمك؟ " قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ". قال: " أفتحبه لابنتك؟ " قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: " ولا الناس يحبونه لبناتهم ". قال: " أفتحبه لأختك؟ " قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: " ولا الناس يحبونه لأخواتهم ". قال: " أفتحبه لعمتك؟ " قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: " ولا الناس يحبونه لعماتهم ". قال: " أفتحبه لخالتك؟ " قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: " ولا الناس يحبونه لخالاتهم ". قال: فوضع يده عليه وقال: " اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه " قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء» (Muslim, 2004).

الفقرة الثالثة: التعامل مع الأعراب، الأعراب هم الذي يعيشون في البوادي ويتنقلون من مكان إلى مكان، طلبا للماء والعشب، ويجهلون الكثير من الأحكام الشرعية. قد تجد بعض المخالفات من بعض المكلفين من هذه الأمة في موقف معين، وهذا أمر طبيعي لا وشاح فيه، فهل يستحق كل مخالف عقاب من الحاكم يناسب هذه المخالفة أو يفرط في العقاب، كما يفعل اليوم حكام المسلين" الجواب لا وهذه القصة حية تشهد على ما نقول، فالرفق واللين مع المخالف هو الدواء الأنسب وبالذات إذا كان غريبا، وعن الثقافة وأخلاق المجتمع الذي انتقل إليه. فهذا الأعرابي لا يعرف الآداب الموجودة في المدينة في قضاء الحاجة فمن الطبيعي أن يرتكب بعض مخالفات أعراف المجتمع.

فالحل هو الرفق في معالجة الأخطاء التي قد تصدر من بعض الأشخاص في موقف معين بدل العقوبات مثل الضرب والحبس التي قد يظن بعض الناس أن لها مفعول في الردع، ولكن نقول كيف تعامل الرسول ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد، وكيف كان موقف الصحابة من هذا الحدث. إن المتمعن والمتدبر لهذا الحدث لا يعجب من هذا الخلق الكريم والتصرف الناجح في تربية الأمة والرفق بها. وأن الرفق واللين أفضل الوسائل في كسب قلوب الناس وتربيتها.

فهذا أعرابي لا يعلم من الأحكام شيئا ولايدري أن البول في الإسلام نجس وهو غريب لا يعرف أحدا وقد يكون من ثقافته وعادات المجتمع الذي عاش فيه أن البول أمام الناس لا حرج فيه، وكان في نظر الصحابة أن الأعربي أتى بأمر يستحق العقاب والتأديب فزجروه ونهروه عن فعله ولولا النبي ﷺ حال بينهم لبطشوا به وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا. وأما موقف النبي ﷺ هو الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء وبالذات إذا لم يأتي المخالف بهذه المخالفة استخفافا أو عنادا وفيه دفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما لقوله ﷺ دعوه قال العلماء كان قوله ﷺ دعوه لمصلحتين إحداهما أنه لو قطع عليه بوله تضرر وأصل التنجيس قد حصل فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به والثانية أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد (Alhimdhani, 1998).لقد تأثر الأعرابي من أخلاق النبي ﷺ ، وكان نتيجة هذا الأثر أنه دعا الله فقال: اللهم اغفر لي ولمحمد ولا تغفر لأحد معنا، فضحك رسول الله ﷺ من قوله ثم قال له لقدحجرت واسعاً (Muslim, 2004) . ويظهر لي أن الأعربي كان في قلبه شئ على الصحابه؛ لأنهم نهروه وكادوا أن يقعوا به فأنقذه محمد ﷺ فأحبه فدعاء بالمغفرة وحصرها عليهما فقط.

الفقرة الرابعة: التعامل مع الكفار، لا ينحصر الرفق في الإسلام على طائفة معينة أو شريحة محددة من الناس وإنما هو لجميع الفئات والطوائف من البشر، حتى مع ألأد أعداء الإسلام، وهذا ماتميز به الإسلام عن غيره فالعدل والرحمة والرفق واللين مقصد من مقاصد التشريع الإسلامي. قال تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَداءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ}، [المائدة آية 8]. في تاريخنا المشرق الشيئ الكثير والكثير من المظاهر الجمالية السلوكية التي تمثات في شخص نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وهو النموذج الفريد للبشر والقدرة الحسنة للمسلمين، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} [الأحزاب: 21] } وكان صلى الله عليه وسلم، يعيش في المدينة المنورة ذات السكان والشرائح المتنوعة من اليهود والكفار والمنافقين والمسلمين، ولاشك أن هذا التنوع يلزم منه التعايش والاختلاط والاختلاف بين الناس وكان النبي ﷺ يتعامل مع اليهود بالرفق واللين في البيع وكذلك في الشراء، وقد كان يحتاج بعض الأحيان أن يقترض منهم بعض المال وكانوا ذا مال. فاقترض من زيد بن سنعة مالاً وكان من أحبار اليهود فعندما أتى يتقاضاه أغلظ على النبي ﷺ، فجبذ ثوبه عن منكبه الأيمن، ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب أصحاب مطل، وإني بكم لعارف، قال: فانتهره عمر فقال له رسول الله ﷺ : «يا عمر أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج، أن تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي، انطلق يا عمر أوفه حقه، أما إنه قد بقي من أجله ثلاث فزده ثلاثين صاعا لتزويرك عليه» (Muslim, 2004) . وكان النبي ﷺ يعلم أتباعه هذا الخلق الرفيع ويرشدهم إلى التمسك به وينهاهم عن الغلظة والشدة والإستعجال في الأمر والتعامل بالمثل. وقد روت أم المؤمنين عائشة بنت

الصديق حديثاً فيه من الفوائد والعبر الشئ الكثير. قالت: استأذن نفر من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، فقال النبي ﷺ : «وعليكم». [والسام معناه الموت والهلاك]. واليهود قد امتازوا بسؤ الخلق والكراهية للمسلمين فأرادوا أن يدعوا على النبي، ولكن بطريقة مبطنة مخفية، ويعتقدون أن النبي ﷺ لا يدرك ما يقولون أو يقصدزن من ذلك، وهم أهل مكر وخداع، ومع ذلك كان تعامله رفيعاً فيه من الرفق واللين ما يجعل الإنسان يعد هذا معلماً من معالم النبوة وسمة من سمة الإسلام ومنقبة من مناقب هذا الدين الحنيف. ولكن كان موقف عائشة رضي الله تعالى عنها فيه نوع من الرد بالمثل والانتصار على المعتدي فقالت: وعليكم السام واللعنة، فزادت على قولهم اللعنة على مذهب البادي بالظلم، فكان موقف معلم البشرية توعية أتباعه ونهيهم عن الرد بشدة أو التعامل بالمثل. فقال النبي ﷺ : «يا عائشة، إن الله تعالى يحب الرفق في الأمر كله». قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: «قد قلت وعليكم» (Alnawawi 1392H,). فرد النبي ﷺ بأحسن العبارات وفيها ما يوفي بالغرض. فالله يستيجيب له ولا يستجيب لهم وهذا يدل على الفصاحة التي كان النبي ﷺ يمتلكها ويتصف بها وفيها من الحكمة والرفق واللين مايكون له الأثر الكبير على السامع والقارئ. وعن جرير بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ : «الرفق رأس الحكمة» (Alsuqafi. 1433H). تأثر زيد بن سعنة بهذا الخلق الحسن والتعامل الرفيع الراقي من النبي ﷺ فدخل في الإسلام. ولّنَنْظر سبب دخول زيد بن سنعة في الإسلام، الأ ترى أن السر في ذلك هو الرفق واللين وعدم رد الإساءة بالإساءة. لا شك في ذلك ولاريب فإن الرفق اللين لم يكن في شيء قط إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه كما قال النبي ﷺ (Alhakim, 1411). وإن الجمال الحقيقي يبرز في الأخلاق والقيم التي افتقدناها واستبدلناها بالغلظة (والشدة والعنف، فنفرنا الخلق عن (الخالق وشوهنا الإسلام الذي هو منبع كل جميل ومصدر كل حسن. نعم هذا دور الرفق وأثره على الناس، فهل من الممكن أن يلتزم بهذه الأخلاق الجميلة وهذه الصفات الحميدة الحكام والشعوب فيسمون بها إلى العلا وتسود بيننا المحبة والإخاء وينتشر الأمن والأمان، ويدخل الناس في دين الله أفواجا بغير تفجير أو تدمير. وهذا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول: إن أحب الأمور إلى الله القصد في الجد، والعفو في المقدرة، والرفق في الولاية، وما رفق عبد بعبد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة، (Alhakim, 1990). فيُروى أنه خرج ابن له وهو صغير يلعب مع الغلمان فشجَّه صبي منهم، فاحتملوا الصبي الذي شج ابنه وجاءوا به إلى عمر، فسمع الجلبة فخرج إليهم، فإذا امرأة تقول: إنه ابني وإنه يتيم. فقال لها عمر: هوّني عليك، ثم قل لها: أله عطاء في الديوان؟ فقالت: لا. فقال: اكتبوه في الذرية. فقالت زوجته فاطمة: أتفعل هذا به وقد شج ابنك؟ فعل الله به وفعل، المرة الأخرى يشج ابنك ثانية. فقال: ويحك! إنه يتيم وقد أفزعتموه (Alsurajani, 2011). يا لها من صفات تنبع من نفوس طاهرة وتتدفق من قلوب رحيمة بالرعية مشفقة على اليتيم والفقير والمحتاج، وهذه هي أهم السمات العامة التي اتصف بها الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز –رحمه الله حياً ميتاً.

المطلب الرابع: الجمال السلوكي مع الحيوان

وقد عرفنا أن العرب كانوا قبل الإسلام ليس عندهم مشاعر الرحمة أو الرفق أو اللين بالحيوان، فأدخل عليهم الرسول ﷺ هذه القيمة الجمالية والمظهر الحسن في ثقافاتهم، فأصبح المسلمون يتميزون بها عن غيرهم، واهتم المسلمون بالحيوان اهتماما لا نظير له في تاريخ البشرية، فخصصوا له أوقافا ترعاه وتعتني به، ففي الشام أوقاف للقطط تهتم بتمريضها وإطعامها وسقيها، سميت بمدرسة القطاط، وهي في القيمرية الذي كان حي التجار في دمشق؛ ووقفًا للكلاب الشاردة يؤويها ويداويها، سمي اسمًا غريبًا "محكمة الكلاب"، وهو في حي "العمارة (Asurjani, 2011).

وأوقفت في العهود الإسلامية العديد من الأوقاف الذي خصص ريعها لخدمة الحيوانات والرفق بهم، من ذلك أوقاف للخيول المسِّنة، وأوقاف للطيور خاصة طيور الحرم.

وفي مدينة فاس خصص وقف على نوع من الطير يأتي في موسم معيَّن، فوقف له بعض الخيِّرين ما يعينه على البقاء، ويسهِّل له العيش في تلك المدَّة من الزمن؛ وكأن هذا الطير المهاجر الغريب له على أهل البلد حقّ الضيافة والإيواء (Alsurjani, 2011). وقد جاء في ترجمة محمد بن موسى الحلفاوي الإشبيلي نزيل فاس، والمتوفَّ بها عام 758هـ، أنه دفع به الرفق بالحيوانات المتخذة والأليفة إلى أن يُعِدَّ دارًا يجمعهم فيها ويسهر على إطعامهم بيده. وكان في حوز مدينة فاس: بلاد موقوفة على شراء الحبوب برسم الطيور، حتى تلتقطها كل يوم من المرتفع المعروف بكدية البراطيل عند باب الحمراء داخل باب الفتوح، وأيضًا عند (كدية البراطيل)، خارج باب الجيسة (Alqadaei, 1986). فالإسلام اهتم بالحيوانات ونظم لها حقوقًا قبل أن تقرها أو تعرفها الشعوب الأخرى، فيحرم على المسلم أن يتلهى بقتل الحيوانات والطيور، واتخاذهما هدفًا لتعليم الإصابة؛ فقد «"لعن رسول الله ﷺ من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا» (Muslim, 2004).وذكر الشيخ مصطفى السباعي في كتابه من روائع حضارتنا: أن المسلمين جعلوا أوقافاً خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقافاً لرعي الحيوانات المسنة العاجزة (Alsabaei, 1999).وهذا كله يدلك على روح الشعب الذي بلغ من الرفق بالحيوان إلى هذا الحد، وهو ما لا تجد له مثيلاً.ولعل أصدق مثال عن روح الشعب في ظل حضارتنا، أن ترى صحابياً جليلاً كأبي الدرداء يكون له بعير فيقول له عند الموت: يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك.وأن صحابياً كعدي بن حاتم كان يفتّ الخبز للنمل ويقول: إنهن جارات لنا ولهن علينا حق.وأن إماماً كبيراً كأبي إسحاق الشيرازي كان يمشي في طريق ومعه بعض أصحابه، فعرض له كلب فزجره صاحبه فنهاه الشيخ وقال له: أما علمت أن الطريق مشترك بيننا وبينه؟وقد أصدر الخليفة عمر بن العزيز في إحدى رسائله إلى الولاة أن ينهوا الناس عن ركض الفرس في غير حق.وكتب إلى صاحب السكك (وهي وظيفة تشبه مصلحة السير) أن لا يسمحوا لأحد بإلجام دابته بلجام ثقيل أو أن ينخسها بمقرعة في أسفلها حديدة (Alsabaei, 1999)

وفي العهد العثماني: أوقف الأمير عبدالرحمن أحد الأمراء العثمانيين في مصر على القطط، مبلغ (3600) نصف

فضة في السنة، بواقع (300) نصف فضة في كل شهر، لشراء اللحم وتوزيعه على القطط بعد عصر كل يوم، كما أمر بصرف مبلغ (720) نصف فضة للقائم على شراء اللحم وتوزيعه. وورد أن الشيخ محمد أبو الأنوار السادات (1209هـ/1794م) كان ينفق (30) نصف فضة يوميا على شراء الخبز الذي تأكله الكلاب خارج زاويته التي بناها بسفح جبل المقطم بمصر.(www.startimes.com). وقد أهتم النبي ﷺ بالحيوان فهذا الجمل رأى الرسول ﷺ فاشتكى البعير للرسول لله ﷺ، فمسح الرسولﷺ عليه وقال: "من رب هذا الجمل؟" فجاء شاب من الأنصار، فقال: أنا، فقال: "ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكاك إلي وزعم أنك تجيعه وتدئبه (Abu Dawood, 2009). وأخبر–ﷺ – فقال: ((بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من شدة العطش قال: لقد بلغ هذا الكلب مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى القلب! فشكر الله له، فغفر له)) قالوا يا رسول الله! وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: (في كل كبد رطبة أجر) (Albukhari, 1442) .وهذ إيحاء من النبي ﷺبأن الكلب له منزلة عظيمة في الإسلام ولم يهمله هذا الدين، فأي التشريع أعظم من هذا وأجمل في نظر الإنسان المتأمل المنصف. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقفها، فاستقت له به، فسقته إياه، فغفر لها به» (Albukhari). وللقطط نصيب حيث ويعيش في البت فتحاج إلى عناية وقد النبي ﷺ لأصحابه إنهن من الطوافين أو الطوافات عندما سئل عن نجاسته. وقد حرم الرسول ﷺ إيذاء الهرة أو المساس بها وأخبر عليه أفضل الصلاة والسلام أن امرأة عذبت في هرة حبستها حتى ماتت جوعا، فدخلت فيها النار» فقال: والله أعلم: «لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستيها، ولا أنت أرسلتها، فأكلت من خشاش الأرض» (Aljamili,2013). فكان سبب دخول المرأة هو التقصير في حق الهرة وعدم القيام بالواجب نحوها، ورعايتها وإطعامها. وهذا يدل على حرص الإسلام على رعاية الحيوان بجميع أشكاله وأنواهة وأن الرفق لا يقتصر على الإنسان فقط، بل على جميع المخلوقات. والنصوص الشرعية كثيرة ومتعددة بالرفق بالحيوان وللفقهاء آراء وضحة في الإعتراف بهذة الحقوق التي شرعها الخالق ويكفي للإسلام فخراً أن يجعل من أسباب دخول الجنة الرفق بالحيوان ومن أسباب دخول النار القسوة والغلظة على الحيوان ففي الحديث عاهرة تسقي كلب فتدخل الجنة وأخرى تحبس هرة تدخل النار.

كما اهتمت الشريعة الإسلامية بالرفق بالإنسان والحيوان كذلك اهتمت بعالم الطيور وأمرت معتنقيها إلى الرفق بالطير ورعايته والإحسان إليه والنصوص على ذلك كثيرة لاحصر لها. ولكن بإمكاننا ذكر بعض ما يتيسر ذكره على سبيل الإشارة إلى مكانة الطير ومنزلته في التشريع الإسلامي. يذكر في بعض كتب الحديث أن النبي ﷺ كان في سفر ثم نزل يستريح تحت ظل شجرة، وإذا بطير يرفرف على رأسه يشكو إليه ﷺ فانصت له الرسول وسمع شكواها.

فتبين للرسول الله ﷺ أن رجل هجم على عشه ففجعه وأخذ فقال رسول الله ﷺ وأصحابه: «أيكم فجع هذه؟» فقال رجل من القوم: أنا أخذت بيضتها فقال: «رده رده رحمة لها» (Muslim, 2004). يعني: لم يرض أن تفجع طير ببيضها. وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «"من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة. (Altubri). وهذا التعامل مع أصغر الطيور وتقنين لحقوقها المعيشية في البيئة مع المجتمع البشري، وأنه لايجوز للإنسان أن يعتدي على أي طائر مهما كان حجمه أو لونه. وفي زمن الخلافة العثمانية أنشئت في مدينة بورصة، العاصمة الأولى للدولة العثمانية عام 1923، أول مستشفى خاصة بالطيور تحت اسم "غورباهانة لاكلاكان" وتعني منزل طائر اللقلق، وكان الغرض من بناء المستشفى هو معالجة الطيور غير القادرة على الطيران، والطيور المريضة والمصابة. ((www.turkpress.co/node

المطلب الاالخامس: آثار الرفق واللين على الإنسان

كان الرفق سبب من أسباب إنتشار الإسلام في المعمورة وقد أشار الله عز وجل في كتابه فقال {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159]. والفظاظة خشونة المظهر، والعشرة السيئة، وسوء القول، وتجهُّم الوجه، وغلظ القلب قسوته، وقد نفى الله سبحانه وتعالى عن نبيه الغلظة في المظهر والباطن، فالغلظة في المظهر هي الفظاظة، والغلظة في الباطن قسوة القلب وكلا الوضعين من شأنه أن ينفر (mihamad, n.t) ولقد قال الله تعالى في وصف نبيه: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسولٌ منْ أَنفسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رحِيمٌ}، [التوبة: 128]. ضرب أحدا بيده قط، وكان سهلا في معاملاته متسامحا، وكان طلق الوجه دائما، رآه أعرابي، فاسترعاه بشاشته وطلق محياه فقال له: أأنت الذي تقول عنه قريش إنه كذاب؟ والله ما هذا الوجه بوجه كذاب! وأسلم إذ دعاه النبي – ﷺ (Ibn Majah,1953). ولقد وصف عبد الله بن عمرو بن العاص النبي – ﷺ–، فقال: «إنه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي السيئة بمثلها، ولكن يعفو ويصفح»(Ibn Hanbal , 2001)). وكان ﷺ لَا يثير غيظه شيء، ويداري الناس إلا أن يكون في المداراة حق مضيع، ولقد روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:" «إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض» (Al-Albani, 1992). فالرفق ما كان في شيءٍ إلاَّ زانهُ، وما نُزع من شيءٍ إلاَّ شانُه، فاللين في الخطاب، والبسمةُ في وجوه الناس، تأسر قلوب الخلق وتميل النفوس إلى صاحب هذا الخلق الكريم. فالكلمةُ الطيبةُ عند اللقاءِ، هذه حُلَلٌ منسوجةٌ يرتديها السعداءُ، وهي صفاتُ المؤمنِ كالنحلة تأكلُ طيّباً وتصنعُ طيّباً، وإذا وقعتْ على زهرةٍ لا تكسرُها؛ لأنَّ الله يعطي على الرفقِ ما لا يعطي على العنفِ. إنَّ من الناسِ من تشْرَئِبُّ لقدومِهِمُ الأعناقُ، وتشخصُ إلى طلعاتِهِمُ الأبصارُ، وتحييهمُ الأفئدةُ وتشيّعهُمُ الأرواحُ، لأنهم محبون في كلامهِم، في أخذهم وعطائِهم، في بيعهِم وشرائِهم، في لقائِهم ووداعِهِم (Alqarnii, 2003). وقد حقق الرسول ﷺ نجاحاً عظيماً في سبيل الدعوة، بمنهج الرفق

واللين مالم يحققه أحد من العالمين. بينما نرى بعض الجماعات التي تدعي أنها تمثل الإسلام هدَّمت معالم الإسلام وبينيانه الذي بناه الرعيل الأول بالعنف والغظة والشدة، حتى أنهم شوهو هذا الدين المعروف عنه بتسامحه وصفحه حتى مع الأعداء.

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث اشكر الله عز وجل على ما يسر لنا من العلم والمعرفة بخصائص الإسلام ومميزاته التي يريد العدو أن يخفيها ويظهر خلاف ما يتحلى به ديننا ومنهجنا الرباني، وتعرفنا على فضل الإسلام ورحمته بكل المخلوقات، وأن الإسلام يأمر بالرفق مع جميع الكائنات البشرية وغير البشرية، وأن الرفق واللين لهما صفة عظيمة ومنزلة سامية في الإسلام.

والنتائج:

1. الدين الإسلامي يتميز بالمظاهر الجمالية في أحكامه وتشريعاته.
2. الإسلام سبق المنظمات والهيئات التي تنادي بحقوق الإنسان والحيوان والطيور.
3. الإسلام تميز بعدالاته ومساواته؛ فمنح كل الكائنات الحية حقوقها ومستحقاتها غير منقوصة.
4. الرفق واللين في الإسلام يشمل جميع أصناف المخلوقات في الكون.
5. يهتم المنهج الإسلامي بنشر روح التسامح بين البشر بمختلف دياناتهم، وأشكالهم والوانهم وأجناسهم.

References

- Ibn Abi Shaybah, Abu Bakr bi Abdullah, (1997). Musnad Ibn Abi Shaybah. Dar Alwatan - Riyadh, Saudi Arabia.

- Ibn Al-Qayyim, Muhamad bin Abi Bakr (1996). Madarij alssalikin bayn manazil 'iiaak naebud wa'iiaak nastaeina, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Lebanon.

- Ibn Hanbal, Ahmad bin Muhamad. (2001). Musnad Al Imam 'Ahmad bin Hanbal. Muassasat Al-Rrisalah, Beirut, Lebanon.

- Ibn Majah, Muhamad bin Yazid Alqazwini, (1953). Sunan Ibn Majah. Dar 'Iihya' Al-kutub Al-Arabiya, Cairo. Egypt.

- Abu Dawood, Sulayman bin al-Aash'ath bin Ishaq bin Bashir bin Shidad bin Eamrw Al'uzdii Alssijistani. Sunan Abi Dawood. Almaktabat Aleasriatu, Sayda, - Beirut, Lebanon.

- Al-Nawawi, Muhyi Aldiyn Yahyaa bin Sharaf (1392H). Alminhaj Sharah Sahih Muslim bin Alhajjaj. Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, Beirut, Lebanon.

- Al-Albani, Muhamad Nasir Aldin, (1992). Silsilat Al'ahadith Aldaeifat Walmawdueat Wa'athariha Alsayyi' Fi Al-ummah. Dar Al Marifah Riyadh, Saudi Arabia.

- Al-Asheari, Abu Al-Hasan Eali (1413H). Risalatan 'Iilaa 'Ahl Althughr Bibab Al'abwabi. Eimadat Albahth Aleilmi Biljami'at Al-Islamiati, Almadina Almunawrah, Saudi Arabia.

- Al-barraz, Aldhabih Alhalal. 'aghsts5/2011m 'akhbar aldanimark www.quran-m.com.

- Al-Bukhari, Muhamad bin Isma'il. (1422H). Al-Jami' Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar Min Umur Rasul Allah Salaa Allah Ealayh Wasalam Wasunanh Wa'ayaamihi, Dar Tuq Alnaja.

- Al-Fakihi, Abu Abdullah Muhamad bin Ishaq. (1414H). 'Akhbar Makkah Fi Qadim Aldahr Wahadithihi. Dar Khadir, Beirut, Lebanon.

- Al-Qarni, Eayid bin Abdullah (2003). La Tahzun. Maktabat Aleabykani.

- Al-Ghazali, 'Abu Hamid Muhamad bin Muhamad. Iihya' Ulum Aldini, Alnaashir: Dar Almaerifat, Beirut, Lebanon.

- Al-Hakim, Abu Abdillah Muhamad. (1990). Al-Mustadrak a'la Al-Sahihain. Dar Alkutub Aleilmiat, Beirut, Lebanon.

- Al-Himdhani, Muhamad bin Husayn bin Eabd Alsamad Alharithiu Al-Ilmi .(1998). Alkishkulu. Dar Alkutub Al-Ilmiat, Beirut, Lebanon.

- Al-Jamili, Abdullah Munawar, Almawdue, Waqf Lilqatat Walzabadii Damir Mutakalim, Sahifat Almadinat, Al'ahad 31/ 3/2013m.

- Al-Mahdi, Husayn bin Muhamad. (2009). Sayd Al'afkar Fi Al'adab Wal'akhlaq Walhukm Wal'amthali. Sujl Hdha Alkitab Biwizarat Althaqafati, Baddar Alkitab.Yemen.

- Al-Muqadim, Muhamad Ahmad Ismail. Mahw Al'amiat Altarbawiati, Masdar Alkitab: Durus Sawtiat Qama Bitafrigh Bedha Mawqie Alshabakat Al'iislamiati.

- Al-Muqadim, Muhamad Ahmad Ismaeil. Mahw Al'amiat Altarbawiati, Masdar Alktab: Durus Sawtiat Qama Bitafrigh Bedha Mawqie Alshabakat Al'iislamiati.

- Al-Ruyany, Abu Bakr Muhamad bin Harun. (1416H). sanid alruwyany, almuhaqqiq: Ayman eali abu yamani, alnashr: muasasat qartabat – alqahirata altabeata: al'uwlaa.

- Al-Qadaei, Abu Abdullah Muhamad bin Salamat bin Jaefar bin Eali bin Hukmun. Musnad Al-Sahabi. Muasasat Alrisalat, Beirut, Lebanon.

- Al-Sibaei, Mustafaa bin Husni (1999). Muqtatafat Min Rawayie Hdartna, Alnashr: Dar Alwiraq Lilnashr Waltawziei, Beirut, Almaktab Al'iislami, Beirut, Lebanon.

- Al-Sufuri, Abd Al-Rahman bin Abd Alsalam. (1283H). Nuzhat Almajalis Wamuntakhab Alnafayis. Almutabaeih Alkastaliat, Eyqpt.

- Karm Alsyd Ghanim, Min Rawayie Khatim Al'adyan Warieayat Alhaywan. laellahaellaallah.in-goo.com.

- Muhamad bin Ahmad bin Mustafaa bin Ahmad Almaeruf Bi'abi Zahra. Dar Alfikr Al-Arabi.

- Muslim bin Alhajjaj Abu Alhasan Alqashiri Al-Naisaburi (2004). Sahih Muslim.

- Sabri Muhamad Khalil(2011). Mafhumi Alfin Waljamal Bayn Alfalisifat Algharbiat WAlfikr Al-Islamii, Muqadimuh Fi Falisifih Aljamalu. sudaneseonline.com.

-Abu Sufyan Wakye bin Aljirah bin Malih bin Euday bin Fris bin Sufyan bin Alharith bin Eamrw Abn Eubayd bin Ruas Alruwasii (1984). Alzahad Lukie. Maktabat Alddari, Almadina Almunawra, Saudi Arabia.

-Abd Al-Karim Ahmad Al-Mahmud. (n.d) Al-Jamal min almanzur al'iislami.

Abu Rian, Muhamad ealaa 'aburi. (n.d.) falsafat aljamal zunsha'at alfunun aljamilata, almuealrafat , al'askandariata, .-dara